خطة الهيمنة على الزوايا من طرف الجنرالات الفرنسيينلطمس الهوية الجزائرية: القضاء على روح المقاومة "1840م- 1900م"

*بريجـــة شريفة– جامعة الجلفة

مقدمـــــــة:

نزلت الجيوش الفرنسية بالجزائر ب"سيدي فرج" سنة 1830م ،وبعد التوغل في مختلف الجهات القريبة اكتشفوا تدريجيا خلال السنوات الأولى من تقدمهم ،بأن هذه المنطقة تتميز بالعديد من الميزات والخصوصيات والأوضاع الحضارية الغير المنتظرة لم تكن في حسبان قادتهم، الذين غامروا في ميدان مجهول عند احتلالهم للجزائر، كما لاحظته عليهم بعض الصحف الأوروبية آنذاك.

فكانت مفاجئتهم كبيرة أمام المقاومة الشديدة التي واجهوها، نظرا لما تعودوه من أحكام وقوانين في مجرى الحروب: فمن العادات السائدة في الحروب التي قامت بها الجيوش الفرنسية آنذاك ، عبر أوروبا، أنهم عند ما يهزمون عسكريا دولة ما ،وفي حالة احتلال القصر ،وأسر حاكمها ،يتم إمضاء معه وثيقة الهزيمة، وبهذا تنتهي الحرب ويصبح الشعب يخضع للسلطات الجديدة التي غالبا ما ينصبها المحتل وبهذا يتقبل الهزيمة .فمثل هذا السيناريو لم يقع بعد احتلال الجزائر، وبعد هزم **الداي** ونفيه ، وجدوا أنفسهم يوما بعد يوم ،أمام شعب متمرد يقاومهم في أي مكان، فتطلب الأمر من الضباط أن يبحثوا عن صاحب السلطة العسكرية الحقيقي الذي يحث و يدفع بالشعب إلى المقاومة.

ونظرا لجهلهم التام لهذه الجهة ،أصبحوا مضطرين على البحث والتحري ودراسة خاصيات هذا الشعب حتى يتكمنوا من إيجاد أنجع طريقة للقضاء على المحرض الذي يدفع بهم للمقاومة رغم هزيمة **الداي.**

فاهتمامهم بالزوايا لم يكن مجرد صدفة أو فضول ،بل كما صرح به أحدهم ، بعد سنوات من دراسة المقومات الدينية، أن "الخطر يبقى يهددنا ما دامت هذه الأماكن (أي الزوايا) منبعا لروح المقاومة..." **(ج .كامبون)** وبهذا أصبح الضباط العسكريين في طليعة المهتمين بهذه البحوث والدراسات الانتروبولوجية تنفيذا للخطة المسطرة من طرف السلطات العليا للمملكة الفرنسية التي أصرت على الاحتلال الكامل للجزائر.

مراحل الخطة :

تبين لنا من خلال الوثائق التاريخية التي تتناول دراسة فترة ما بعد الاحتلال للجزائر بان الجنرالات الفرنسيين،في مرحلة أولى اعتمدوا على مترجمين عسكريين، الذين كانوا يرافقون الجيوش في تقدمهم، لكن يبدو أن الضباط لم يقتنعوا بهذه الخطة؛ وعليه في مرحلة ثانية أصروا على أن يتعلموا اللغة العربية بهدف تسهيل عملية التحاور

والتفاوض (المثل على ذلك، هو الجنرال **دوما(Daumas)** الذي تعلم وأتقن اللغة العربية ، الى درجة أنه بعد سنوات، عُين سفيرا لفرنسا لدى الأمير عبد القادر، بمعسكر) وللتمكن من الاتصال مع تلك القبائل والجماعات التي أَظهرت أمامهم بطولات في معارك شديدة وبرهنت على شجاعة قوية في مقاوماتهم... وفي مرحلة تالية، أدق، قاموا بتصفح وثائق التي كانت تتواجد عند بعض العائلات (مخطوطات قديمة، كتب تاريخية) واستعانوا كذلك بالذاكرة الشفهية...بهدف اكتشاف ماضي البلاد.

وفي مرحلة نهائية رامية الى دراسة حقيقية وميدانية، أصبح الكثير منهم قادرون على القيام بجولات وزيارات مختلف الأماكن، للملاحظة عن كثب، والملاحظة بالمشاركة للسكان الذين يجرؤون على الاحتكاك بهم والتخاطب معهم، انطلاقا مما يخوله لهم موقف القوى الذي يكتسبونه والذي يُمكنهم من الهيمنة وطرح الأسئلة ، والتحري الدقيق .

فأصبحت اهتماماتهم تنحصر في الدراسة الميدانية لهذا المجتمع (فمثلا قام أحدهم بزيارات طويلة عبر القطر الجزائري مرفوقا بجماعته، لرصد وإحصاء الزوايا، كما سنتطرق له) وهم يدوّنون يوما بعد يوم كل ما قاموا به وما توصلوا اليه من نتائج فعلية تمكنهم من فهم الخاصيات الثقافية والأعماق الثقافية للمجتمع ويتفحصوا أحواله حتى تخدم استنتاجاتهم الميدان العسكري للقضاء على ما قالوا عنه "روح المقاومة" التي تنبض في أعماق هذا الشعب الصامد "رغم وسائله العسكرية الضئيلة".

2)التعرف على المجال الثقافي والروحي "للعدو" بهدف القضاء عليه:

نجد المؤلفات التي كتبها العديد من الجنرالات، تلم بتفاصيل مبهرة عن المجتمع الجزائري آنذاك، مع أن اختصاصاتهم كانت في الفنون القتالية، ومن الغريب، أصبحوا مولعين بالدراسات الإنسانية-الأنثروبولوجية والدينية والتاريخية كما يتبين من خلال الكتب التي ألفوها. وقد نشروا الكثير من المؤلفات حول ثقافة المجتمع الجزائري بين 1830 م و1900م مستعينين بالنظريات التاريخية والأنثروبولوجية السائدة في ذلك الزمن في المخابر الأوروبية والمحتقرة لثقافات الشعوب الغير الأوروبية وللديانات الغير المسيحية.

فترك لنا التاريخ العديد من الكتب و المؤلفات التي تتناول مواضيع أنثروبولوجية ثقافية مثل: المعتقدات الروحية والعادات والطقوس والممارسات والزوايا و المرابطين والتصوف والطرقية وأبحاث إثنو- أنثروبولوجية حول الطبع والتصرف عند المجتمعات وحياتهم وسلوكياتهم كما هو الشأن في العديد من الأوساط الأوروبية آنذاك ، كل ذلك كان يندرج ضمن مستوى معارفي السائد والخاص بتلك الفترة(ق19م) حيث كان الفكر الأوروبي المهيمن يضع حضارته وعرقه هما الساميين، زد على ذلك أن الجمعيات العلمية الأكاديمية (خاصة الإنثولوجية والأنثروبولوجية ،والدينية، والتاريخية وعلم الحفريات أركيولوجيا) سواء منها الألمانية أو الفرنسية أو الانجليزية ، كانت تبث نظريات مبنية على هذه المبادئ (العرقية) وتعطيها سند علمي وحضاري...

وكانت تدعم نظرياتها وتصريحاتها بدراسات وفحوصات وصور وجماجم لأقوام كانوا قد قاموا بمشاهداتهم في جهات بعيدة، أو أتوا ببعض الأشخاص من مناطق غير معروفة لاستعراضهم أمام الجمهور الأوروبي ، أمثال عن ذلك:

- المرأة الجنوب إفريقية (التي أتوا بها في نهاية القرن التاسع عشر، بباريس لكي يستعرضوها في الحفلات العمومية نظرا لصفتها "الغريبة") والتي طالب الرئيس "مندلا" مؤخرا في التسعينات بإرجاع جثمانها لوطنها،

- أو رؤوس زعماء "ماوري" من **كلدونيا** الذين كانوا في حوزة المتحف الوطني منذ القرن 19م الى أن أعادوهم لأهلهم لدفنهم سنة 2002م... الخ .

وشيد علماء الغرب في الأثنولوجيا خاصة، إثر ذلك، نظريات ""علمية"" وألفوا في الموضوع مِئات الكتب ليبرهنوا على سمو عرقهم الأبيض ورقي حضارتهم المسيحية الغربية ولا زالت هذه المؤلفات على رفوف المكتبات الأوروبية القديمة.

فالجنرالات قاموا بدراسات مفصلة حول شتى المواضيع الهامة التي تتعلق بالمجتمع الجزائري تتخللها ملاحظات دقيقة اكتشفوها بفضل تحرياتهم وممارستهم اليومية بالاحتكاك المباشر مع جميع الأوساط التي يتصلون بها أو يتعاملون معها، بهدف وضع خططهم...

وكثيرًا ما تخللت مؤلفاتهم العديد من التحذيرات تخبر القارئ الفرنسي عن شتى الأوجه التي يتسم بها الفرد "العربي" وتفاصيل مهمة وليدة بحوث ميدانية عالية الدقة عن ثقافة المجتمع الجزائري من معتقداته وطريقة تفكيره وتصوراته وقـــيمـــه : كحسن الضيافة والكرم والصدقة والطقوس الدينية من وضوء وصيام، والزوايا، ومنهم من قام بترجمة بعض الأغاني، كما أشاروا إلى الحروب التي كانت تنشب بين القبائل وأعطوا تفاصيل عن الصحراء و**التوارق** وعلاقتهم بالجمال وعن المجتمع القبائلي وممارسات يومية وسلوكيات أخرى توصلوا إلى معرفتها.

3)بعض المؤلفات للتعريف بالزوايا:

وقد ركزوا على دراسة وظيفة **الزوايا** وأوضاعها، سنذكر أهم المؤلفات التي تصادفنا بها، والتي كتبت عن الزوايا بصفة واضحة، منها:

الجنرال دوما: (Joseph Eugène Daumas)

يُعد مُؤلف الجنرال **دوما "سلوكات وتقاليد الجزائر "***" Mœurs et coutumes de l'Algérie "*

بحث انتروبولوجي،قام به بثلاث مناطق من الجزائر:التل و منطقة القبائل و الصحراء.

كل جزء يحتوي على تفاصيل مهمة وليدة بحوث ميدانية مهمة عن ثقافة المجتمع الجزائري من معتقدات،والطقوس الدينية والقيـــم،والعادات والتقاليد والممارسات اليومية لسكان المناطق. كما درس أصول وسلالة الانسان الجزائري،وبحث عن أصول أهل البادية أو الرّحَلوعن نشأة وتشكل القبيلة عندهم،وعنطبقات المجتمع الثلاث(طبقة شرفاء النسب،والطبقة العسكرية،والطبقة الدينية) التي لها مكانة ولها كل قوة وسلطة في المجتمع.

الجنرال ترومليي:(Corneille Trumelet)

أما الجنرال **ترومليي** يُعتبر مؤلفه **"الجزائر الأسطورية:في الحج هنا و هناك الى قبور أهم أصحاب المعجزات في الاسلام،التل و الصحراء"** ***L'Algérie légendaire : en pèlerinage çà et là aux tombeaux des principaux thaumaturges de l'Islam, Tell et Sahara"*** خُلاصة لرحلات وزيارات (والتي سماها بالحج) قام بها من الجنوب الغربي الى الجنوب الشرقي،وزيارات من الشرق الى الغرب،الى أضرحة الأولياء الصالحين بالجزائر.

فأَحصى فيها المرابطين الذين صادفهم في رحلته وأهم ميزاتهم و كراماتهم وعلاقتهم بشعبهم ومعجزاتهم و كل ما يَلم بهم ،ليَخلص الى فكرة عامة و دقيقة عن المسألة الدينية الاسلامية بالجزائر وطابع قداسة الاولياء وعلاقتهم بالدين.

وأَشار الجنرال **ترومليي** أيضا في مؤلفه، الى أهمية هذا النوع من البحوث حول التقاليد الإسلامية والتي تعمل على تدعيم متطلباتهم السياسية و التجارية و الحضارية من أجل اكتساب قوة للتوغل بمنطقة الشمال الافريقي بدون عوائق. فدقق في بحثه حول الشخصيات المعروفة أي القدسيين أو المرابطين ليظهرهم كفاعلين أساسيين لهم دور في تحريك الشعب بما لهم من نفوذ.

الجنرال كوبون : (Jules CAMBON)

يُعتبر كتاب الجنرال **كوبون "الطرق الدينية"(1)** ***" Les confréries religieuses musulmanes*** أو ***الزوايا*** ،من أهم الدراسات الكلونيالية الفرنسية التي اهتمت بالحياة الدينية في المجتمع الجزائري،فقد جمع فيه المعطيات والوثائق من خلال زيارة المؤسسات والأطراف الفاعلة في الميدان الديني.

ويتسم عمله بمعرفة أوسع للميدان وأدق للتيارات الروحية الموجودة في المجتمع. ويتميز باتجاه واضح الأهداف وهو الكشف المدقق للقيم الروحية التي تكون أخلاقيات المجتمع الجزائري حتى يتمكن المحتل الفرنسي من أن يقضي عليه.

فتناول دراسة واسعة وشاسعة للقيم والمعتقدات والمعطيات الروحية والتاريخية والاجتماعية والسياسية في المجال العربي والإسلامي عامة.

كما وصف حقيقة المؤسسات الدينية أي الزوايا التي زارها ودرس تنظيمها:

فدرس تطور المدارس الصوفية وتكوين الزوايا وتنظيمها ودورها السـيـاسي ،والطرق الدينية وجميع المعطيات الخاصة بكل طريقة وعدد أتباعها ومسيريها ونشاطاتها ومداخلها المالية ومصاريفها،زيادة على مضمون العبادات والابتهالات المستعملة،وصوّر الزوايا ومواقعها،أي قام بإحصاء عام للزوايا وأعطى قوائمها،وذكر أماكن

تواجدها والطريقة المتبعة ،وأشار أيضاً إلى التحولات التي طرأت على هذا الميدان وخاصة أن الزوايا لها علاقات بزوايا أخرى خارج الجزائر، وأن الموقف المشترك لديهم كلهم، هو الضغينة ضد المحتل،لهذا يعتبر أنه حان الوقت للنظر في كل التطورات التي هي جارية في الميدان والسهر على كل ما يطرأ عليها ،تخوفا من أحداث خطيرة التي كثيرا ما **تتسبب فيها الزوايا (تمرد).**

وفي نهاية كتابه اقترح خطة تتكون من عدة مراحل:

- إما ابتلاع بعض الزوايا وتسييرها حسب تنظيمهم من طرف مؤيدين لهم،
- وإما إغلاقها والأسباب لديهم كثيرة،
- وإما الدفع بها الى الاضمحلال بإنشاء أنظمة "عصرية" بقربها...

كل ذلك يندرج ضمن خطة بعيدة المـــدى،وهي " القضاء على الدين" (الإسلام) .

4)الزوايا كبرج ثقافي وروحي و منبع روح المقاومة(الدين والسياسة):

كما سبق لنا أن ذكرنا في البداية، بأن من أهم الاكتشافات التي تفطن إليها الجنرالات الفرنسيين، هي وظيفة **الزوايا** كمؤسسات دينية، في تحريك وتنظيم والسيطرة على المجتمع الجزائري، ودورها الأساسي في الحفاظ على ثوابت هوية المجتمع الجزائري، أي الحفاظ على الإسلام وعلى اللغة العربية،بالرغم من عملياتهم لمحو التراث الجزائري بكل خصائصه الثقافية الأمازيغية والعربية الإسلامية.

فشبهوا **الزوايا** ب "chapelle" أي تلك الكنائس الخاصة والصغيرة،وكيف أنه يرأسها شيخ يدعى**"سيدي"** وعن دورها الذي يرمي إلى توفير الأكل والشرب والمأوى للجميع وخاصة للمسافرين وحتى المجرمين...

واستنتجوا بأن **الزوايا** تعتبر بالنسبة للجزائريين ينابيع روحية تسقيهم وتجعلهم يقاومون كل ما يمس وجودهم، وبهذا الصدد قال أحد الجنرالات بصريح العبارة:

" الزوايا هي بمثابة كنيستنا أو ديـــرنا، ضريح لرجل صالح، وحوله بنايات أين يستقبل الزائر والمار تضيفه وتلقنه دروس دينية..فبهذا اكتسبت أهمية بالغة ولها دور فعال لدى الناس البسطاء في تهدئة المجتمع واستقراره... "

وقال:*" يبدو لي أنه حان الوقت لكي نتحكم في الزوايا ونسير هذه القوة الروحية الوحيدة التي بقيت بين أيدي الأهالي ونسخرها لصالحنا ريثما نسلط عليها قوات متحضرة مضادة لها وبهذا نتم اضمحلالها..* "(2)

فدرسوا دور الزوايا والمرابطين و ميزاتهم و كراماتهم وعلاقتهم بشعبهم ومعجزاتهم و كل ما يَلم بهم، وقد خلصوا إلى فكرة عامة و دقيقة عن المسألة الدينية الإسلامية بالجزائر وطابع قداسة الاولياء وعلاقتهم بالدين.

وبحثوا حول أصول أو نشأة المرابطين بالشمال الإفريقي ،التي أرجعوها إلى بدايات سقوط الأندلس 1492م وهجرة بما يسمى ب **"مور الأندلس"**« Maures Andalous»(3) إلى المغرب الأقصى ،هؤلاء المنفيين من

مفكرين وأطباء ،الذين وصلوا إلى غاية **واد الذراع والساقية الحمراء**، أين كانوا يبحثون عن الاستقرار والأمن الروحي فاختاروا حياة العلم والصلاة وتكريس حياتهم للعبادة والروحيات حتى أصبحوا يشبهوا الوسيط مع الإله؛ ومن هنا بدأوا مهمتهم ألا وهي تصحيح بعض المفاهيم الإسلامية و توضيح تعاليمها ،فانطلقوا إلى الجزائر والى عدة جهات من شمال إفريقية...وهكذا استقر العديد من المرابطين في مختلف أرجاء البلاد وتميزوا بامتلاكهم للمعجزات ونوع من الشاعرية والأكثر شهامة.

فأحصى الجنرالات ستة عشر مرابط في الصحراء عُرفوا بمعجزات و **كرمات** اعتبرها الجنرالات ببطاقة بيضاء للتصرف تمنح لهم من طرف الرب.

واكتشف الجنرالات الفرنسيين بأن الطبقة الدينية أو المرابطين هم الذين حافظوا على الدين، وكانوا يعملون على إطفاء نيران الحروب بالمصالحة بين القبائل،وسلطة عقد الزواج أو الطلاق...كل هذه الاكتشافات من أجل معرفة بُنية هذا المجتمع واكتشاف المنافذ التي تقودهم الى الهيمنة والسيطرة عليه.

فدراسة الطرق الدينية الإسلامية (4) تعتبر أهم البحوث الكلونيالية الفرنسية التي أنجزوها ،لأنها تهتم بالحياة الدينية في المجتمع الجزائري، فجمعوا المعطيات والوثائق وقاموا باتصالات مع مختلف الفاعلين في الميدان وكلفوا مسيرين إداريين بالتأليف عنها.

وعليه باشروا في التحذيرات حول مستقبل ودور **الزوايا والطرق الدينية** ،وإخضاعها للخطة الكولونيالية ،و رسم خطط الهيمنة على هذه المؤسسات الروحية، وتسخير أدوارها لخدمة مصالحهم وتسهيل الغزو وبسط الهيمنة على الأهالي الجزائريين، والقضاء على ثوابت هويتهم خاصة الدين الإسلامي باعتباره الهوية القاعدية للجزائريين، فلا بد من استئصاله من ينابيعه وأهمهما آنذاك هي "الزوايا".

فحرص الجنرالات الفرنسيين على دراسة أصول الدين الإسلامي والتاريخ والمعتقدات والعقائد والتيارات التي برزت في الميدان الديني وتصنيف وشرح كل واحدة والبحث خاصة في التصوف: بدايته، وتطوره، والمدارس الصوفية، والمبادئ الأساسية للتصوف... وبحثوا في كيفية تكوين الزوايا وتنظيمها(الشيح، الخليفة، النائب، المقـــدم...) ووظائفها الدينية المسطرة حسب الطريقة والمهام الاجتماعية خدمة لمصالح الزاوية والمجتمع وكذلك الأهداف السياسية المقصودة.

وقد عملوا على جرد الطرق الدينية والزوايا وتفرعاتها عبر الجزائر وكذا التنظيم المالي فيها بمختلف المداخل والمصاريف، ودققوا في معرفة الدور الســـياسي للزوايا، وكل ما يتعلق بالأهداف السياسية المسطرة من طرف رؤساء الزوايا.

كما ركزوا على معرفة أصول ومبادئ الطرق الدينية وممارساتها ومجالها الجغرافي ونشاطاتها (**الطريقة القيدارية، والطريقة الخلواتية والطريقة الشادلية،والطريقة النقشبندية والطريقة الصهروردية، والطريقة الخاضرية والمرغانية والسنوسية ..**).

5) وضع الخطة ضمن تصميم طويل المدى :

من خلال التمعن في أعمال هؤلاء الجنرالات الفرنسيين،يتضح القصد المستهدف والغايات المقصودة من دراستهم المدققة **للزوايا** ،ألا وهو التعرف على **وظيفتها** وحقيقتها حتى تستطيع السلطات الحاكمة تسطير برنامج له أهداف يجب إنجازها بدقة، ومعرفة الطريقة المحكمة في تحطيم والقضاء على هوية هذا المجتمع الذي كان يظهر في البداية على أنه مجتمع متخلف وبدائي لا يملك أي ثقافة.

ونلاحظ تفطن تلك الطبقة من الضباط العسكريين الفرنسيين إلى أهمية هذا النوع من الدراسات حول **الزوايا** والتي تعمل على تدعيم متطلباتهم السياسية والتجارية والدينية و الحضارية من أجل احتلال منطقة الشمال الإفريقي ومحو أثر الإسلام ،الذي هو بمثابة العائق،واهتمام رجال الكنيسة بهذه الأعمال وتأييدها ماديا ومعنويا (فالكثير من الكتب تشير في "تقديمها" الى ذلك، وتكرر عبارات التبجيل والشكر والعرفان الى "قداسة الأسقف").

وركزوا كذلك على أهمية دراسة الأمور "المدسوسة" و أسرار الجماعات التي سيصادفونها وكيف أن التوصُل إلى هذا سيتم بمعرفة أسطورة هذا المجتمع المسلم ومعرفة قصته، حتى يتسنى للاحتلال الفرنسي البقاء في الجزائر و استمراريته في الهيمنة على الميادين السياسية والروحية بالتحكم في كل الحركة الدينية بقصد محوها.

وبعد تعرف الجنرالات بصفة واضحة، على الدور السياسي الذي تلعبه الزوايا، وخاصة سندها المستمر للأهالي الى خوض المعارك بروح ايمانية ،الأمر الذي جعل الضباط يتيقنون من أنه لا يمكنهم محاربة هذا المجتمع الغامض - ولو يكافح بوسائل بسيطة - لكنه في الحقيقة، محفز ومدعم بوسائل خطيرة تحمل قيم دينية : "روح الرسالة الاسلامية".

هذا، وبناءا على استنتاجاتهم ، المستنبطة من المعرفة العميقة للزوايا ودورها ومكانتها في المجتمع، وضعوا إستراتيجيات مكونة من مجموعة من الخطط التطبيقية للهيمنة علي تلك المؤسسات ،عبر مراحل مسطرة (5)،اقترحوها ، نذكر ما جاء فيها ،علانية :

- ✓ فتح مدراس وبناء مؤسسات مشابهة للزوايا، من أجل تجمع الأهالي بالتدريج لصالحهم،و بث أفكارهم فيها بدلا من تعليم "الطلبة" وأهل الفكر الطرقي،
- ✓ العمل على جلب رجال الدين ورؤساء الزوايا "الشيوخ" لهم، بفضل معاملات ومجاملات إزاءهم، حتى ينالوا مودتهم ،قصد وضعهم تحت خدمتهم.

- ✓ التفاوض مع زعماء الطرق الدينية المتشددين والشخصيات التي تتميز بقوة معنوية ذات تأثير على الأهالي والحصول على تهدئتهم (في مرحلة أولى) من أجل اكتساب ثقة الأهالي، وبالتالي فرض الهيمنة عليهم مستقبلا (6).
- ✓ العمل على تقسيم وتفرقة الطرق الدينية والزوايا، ونشر الفتن بينهم، بشتى الوسائل (الاتهامات، المآمرات المحلية، تحيين النزاعات القديمة...)
- ✓ بناء علاقات طيبة مع بعض الزوايا، وخاصة التي لها علاقات وطيدة مع زوايا خارج الوطن (تونس، المغرب السودان، ليبيا) من أجل اكتساب مودتهم والكف عن التحريض ضد المحتل .

وفي الحقيقة أن البعض من إستراتيجيات المحتل الرامية الى الهيمنة على الزوايا تحققت الى حد ما ، في فترات زمنية من تاريخ الاحتلال، والثورات المختلفة ، (ثورة المقراني ، ثورة الشيخ بوعمامة والعديد من الانتفاضات الشعبية الأخرى ،لدليل قاطع على ذلك.

خاتمـــــــة :

إن هذا الإنتاج من الدراسات (اللأنثروبولوجية/العسكرية) يعتبر خزان من المعلومات والمعطيات حول الزوايا والحياة الدينية في المجتمع الجزائري، قام به باحثون أجنبيون، يتسمون بمعرفة أوسع للميدان وأدق للتيارات الروحية الموجودة في المجتمع، ويتميز باتجاه واضح الأهداف وهو الكشف المدقق للقيم الروحية التي تُكون أخلاقيات المجتمع الجزائري حتى يتمكن المحتل الفرنسي من القضاء عليها "من الداخل" بضرب هوية المجتمع الجزائري ككل ،وبالتالي يهيمن نهائيا على المجتمع.

فهذا الانتاج الكولونيالي تفطن لوظيفة الزوايا في الحفاظ على الهوية الجزائرية ولأهميتها في التمسك والتشبث بقيم المجتمع الروحية، وخاصة "الإسلام"..فعن طريق ما جمعوه من هذه معلومات،وما اكتشفوه من معطيات تاريخية وروحية وأنثروبولوجية ونفسانية، استطاعت السلطات الاستعمارية أن تأخذها بعين الاعتبار واستخدمتها كوسائل فتاكة للتفرقة، وزرع الفـــتـــنة وللقضاء على كل المكتسبات الحضارية والروحية للمجتمع الجزائري، عن طريق خاصة تحوير عمل الزوايا، وتحويل البعض من هذه المؤسسات الى خدمة أغراضها، أما الباقي شلت نشاطاتها، وتعرضت للتحطيم المسطر.

فلهذا أصبحت أبحاثهم تكتسي صبغة سوسيو سياسية محضة ،ولو أنها نظراً لظروف زمنها ،كانت تخدم أغراض عسكرية وسياسية، وهذا ما يعطيها أهمية نظرا لخطورة الخطة المبيتة : القضاء على الإسلام و تشويه مهمة ومكانة الزوايا قبل إتلافها والقضاء على الثقافة الجزائرية الأصيلة والدين والهـــويـــة.

الهوامش :

1Jules CAMBON(Gouverneur Général de l'Algérie) « Les Confréries religieuses musulmanes », Octave Depont et Xavier Coppolani Administrateurs de Communes Mixtes - ALGER, 1897 page 308

[2] Jules CAMBON **«** Nous nous efforcerons de donner ici, sur les Zaouias, tous les renseignements propres à enfaciliter au besoin l'attaque. »

[3]Trumelet, Corneille *« l'Algérie légendaireen pèlerinage aux tombeaux des principaux thaumaturges de l'islam (tell et sahara)* . », Editeur Augustin Challamel, 17, rue jacob, Librairie Adolphe Jourdan imprimeur-libraire, place du gouvernement Paris. 1892

[4] Jules CAMBON « Les Confréries religieuses musulmanes », Octave Depont et Xavier Coppolani Administrateurs de Communes Mixtes -ALGER, 1897

[5]نضع النص المأخوذ من كتاب الجنرال "كانبو " في نهاية المقال (أسفله) ، والذي يشير بوضوح الى هذه الخطة المسطرة ويحث السلطات علي تنفيذها.

[6]Le maréchal **Bugeaud** qui ne cessait de recommander de traiter ces hommes, au caractère divin,avec des ménagements particuliers:« Ils peuvent être quelquefois appelés au pouvoir mais toujours ils doivent être traités avec considération et de manière à nous en faire des amis ».

La bibliographie:المراجع:

1Daumas, Eugène : *Mœurs et coutumesde l'Algérie*" tell — kabylie — sahara…

Par le Général Eugène Daumas,Conseiller d'état, directeur des affaires de l'AlgérieParisLibrairie Hachette et cie, rue Pierre-Sarrazin, n° 141853 paris

2Trumelet, Corneille :*« l'Algérie légendaireen pèlerinage aux tombeaux des principaux thaumaturges de l'islam (tell et sahara)* . »Librairie Adolphe Jourdan imprimeur-libraire-éditeur4, place du gouvernement, 41892Augustin Challamel, éditeur17, rue jacob, Paris.

3Cambon, Jules **«** *Les Confréries religieuses musulmanes* »Publié sous le patronage de Jules CAMBON, Gouverneur Général de l'Algérie.ParOctave Depont et Xavier Coppolani – Administrateurs de Communes Mixtes -ALGER, 1897-

4 Daumas, Eugène *"Moeurs et coutumes de l'Algérie"*, Hachette, Paris, 1853

5 Daumas, Eugène *" Les Chevaux du Sahara et les mœurs du desert*" Lévy ,Paris, 1858

6 Fray Diego de Haëdo traduction de Moliner-Violle "*De la captivité à Alger*" typographie adolphe jourdan imprimeur-libraire-éditeur Place du Gouvernement ALGER 1911

7 JERONIMO Conestaggio: "*Pour surprendre Alger*" adolphe jourdan, libraire-éditeur place du gouvernement, alger 1882

DOCUMENT en ANNEXE :

Extrait du livre : « Les Confréries religieuses musulmanes »– *Publié sous le patronage du Gl* ***Jules CAMBON****, Gouverneur Général de l'Algérie* ***.****ParOctave Depont et Xavier Coppolani Administrateurs de Communes Mixtes -****ALGER, 1897***

Chapitre VII. Conclusion, page 282- « « …On trouvera, développé dans nos conclusions, le programme que nous avons essayé de dresser en vue de prendre la direction de la seule force qui subsiste chez nos indigènes, afin de nous en servir jusqu'au jour où, en lui opposant d'autres forces éclairées et civilisées, nous pourrons poursuivre sa désagrégation.

Ce programme peut être résumé dans les conclusions générales suivantes:

1° Rapports avec les confréries religieuses sans distinction de doctrines, en vue de les placer sous notre tutelle et de faire de leurs dignitaires des imams non rétribués;

2° Rapports avec la masse indigène et pénétration des esprits, en opérant une sorte de mainmise sur les zaouïa existantes et en tolérant, partout où le besoin s'en fait sentir, la construction d'établissements similaires, afin de les réunir, progressivement, au domaine de l'État et de leur restituer leur triple caractère d'établissement de culte, d'instruction et de bienfaisance ;

3° Mise en oeuvre de l'action des confréries religieuses qui ont des ramifications à l'extérieur, pour le rétablissement de nos relations politiques et commerciales avec le Soudan oriental et occidental et la pénétration de nos idées civilisatrices dans les autres pays de l'Islam.

L'oeuvre à entreprendre sera longue et laborieuse, mais une tentative, dût-elle ne pas donner, tout d'abord, les résultats que nous sommes en droit d'en attendre, ne pourra qu'honorer le gouvernement qui généralisera les essais déjà tentés, car on l'a dit fort judicieusement : l'indifférence pour le bienfait n'en altère pas le caractère. »